محمد بن الحنفية في عهد عبد الله بن الزبير وصلاته بالمختار الثقفي

سكن محمد بن الحنفية مكة منذ وقعة الحرة (63هـ / 682م) عند ابن عمه عبد الله بن عباس، وكان ابن الزبير قد طلب لنفسه الخلافة وبايع الناس بعد موت يزيد وذلك سنة 65هـ / 684م، ؛ فقد كانت عائلة المختار قد استقرت مبكرًا في العراق واستقر المختار في الكوفة، وكان المختار يعد من شيعة علي بن أبي طالب ومناصريه؛ لذلك اختار مسلم بن عقيل عندما أرسله الحسين النزول في بيت المختار عند قدومه للكوفة، وكان المختار أول المبايعين لمسلم ([1])، وتعرّض المختار للضرب والحبس من قبل عبيد الله بن زياد بعد مقتل مسلم بن عقيل، ثم طلب المختار شفاعة أخته صفية زوج عبد الله بن عمر ، فخلي سبيله وأخرج من الكوفة بعد مقتل الحسين ([2]) ، وهناك رواية أخرى تذكر أن عبيد الله بن زياد بعث به إلى الطائف ([3])، وقيل هو من سار لوحده ([4]) ، أي أن المختار بعد سنة 61هـ/680م أصبح في

بلاد الحجاز وبقى هناك إلى نهاية حكم يزيد سنة 65هـ/684 خلال هذه الفترة التقى بعبد الله بن الزبير، وكان المختار أول الأمر يتردد إلى المدينة، وبالتحديد وعلى عوائل آل البيت ويكلمهم بشأن بيعتهم، لكنهم رفضوا وممن قابلهم محمد بن الحنفية وكان يسمع منه بعض الأفكار ويذكرها عليه ، ولا توفر لنا المصادر التاريخية عن أي شيء من هذه الأفكار سوى العبارة العامة التي ذكرناها، ونحن نميل إلى أن هذه أفكار هي تخريض بالخروج أو قبول البيعة، وتكوين جيش

للانتقام لمقتل الحسين ([5]).

بعد موت يزيد وسيطرت عبد الله بن الزبير على الحجاز والعراق وغيرهما من البلاد، أستأذن المختار عبد الله بن الزبير أن يخرج إلى العراق فأذن له، وخرج ثم استأذن المختار عبدالله بن مطيع والي العراق لابن الزبير أن يسكن الكوفة فأذن له، في الكوفة كان المختار يعمل لمجموعة غايات في نفسه ولتفيذ هذه هذا المخطط، أخذ يعيب سرا على ابن الزبير وأخذ يشغب ويمكر ويكذب على نائبه على الكوفة عبد الله بن مطيع، ويمدح محمد بن الحنفية، مطالبا بالثار للحسين، فالتف حوله شيعة الكوفة حتى خافه ابن مطيع فهرب من الكوفة وتولى إدارة شؤونها المختار، وطلب ابن الزبير أن يبايع محمد بن الحنفية فأبى ابن الزبير ([6]) ، ولعل هذا السبب الذي جعل عبد الله بن الزبير يتخوف من محمد بن الحنفية، وجعله يعكس الأمر الذي طلبه المختار ويطلب هو بيعة من محمد بن الحنفية وابن عباس والهاشميين أن يبايعوه، لكنهم رفضوا ذلك؛ لاسيما محمد بن الحنفية وابن عباس؛ لأن رؤيتهم السياسية أن لا يبايعوا لأحد حتى يستقر له الأمر من جميع المسلمين نتيجة اضطراب حال المسلمين وتقسم الدولة على خليفتين، فأبيا أن يبايعا له، وقالا : حتى تجتمع لك البلاد ويتسق لك الناس فتركهما عبد الله بن الزبير وقبل عذرهما على كره منه، وحاول مرات أخرى أن يقنعهم باللين، ثم يعاود ويغلظ عليهما، ووقع

بينهم كلام وغلظة، حتى خافا منه خوفا شديدًا ومعهما النساء والذرية من الهاشميين. كان ابن الزبير قد بعث على أعيان أهل الكوفة، ممن كان

ينقم على بني أمية قتلهم للحسين، وطلب منهم البيعة، لكنهم رفضوا متعللين أنهم اعتزلوا الناس والفتن، فأغلظ لهم عبد الله بن الزبير الكلام، وذهبوا إلى محمد بن الحنفية يشتكون ابن الزبير، فحلهم محمد بن الحنفية إلى أن يعتزلوا ابن الزبير. فعرض أهل الكوفة عليه أن يعاضدوه، بل أن يقتلوا ابن الزبير غيلة بعد أن يخرج من الحرم، فرفض وقال: " ما يسرني أني

قتلت حبشيا مجدعا، ثم اجتمع سلطان العرب كله لي ([7]). قرر ابن الزبير منع الهاشميين ومنهم محمد بن الحنفية من

([1])الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ،تاريخ الرسل والملوك ،دار المعارف المصريه(القاهره-١٣٧٦)ج٣،ص٢٧٩

([2])ابن عسكر،علي بن الحسن بن هبه الله ،تاريخ مدينه دمشق، دار احياء التراث (دمشق_١١٦٣)ج١٨،ص٢٩٧

([3])المصدر السابق ،ج٥٨،ص٢٣٥

([4])الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ،سير اعلام النبلاء ،ط٩،مؤسسه الرساله(بيروت -١٤١٣)ج٤،ص١١٧

([5])المصدر السابق، ج٣،ص٥٤٢

([6])الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،ج٣،ص٥٤٠

([7])البلاذري،احمد االبن يحيى بن جابر بن داود، انساب الاشرف،ط١،مؤسسه الاعلميه للمطبوعات(بيروت ١٩٧٤)ج٣،ص٢٨١

التحرك والخروج من مكة، بل حصرهم في شعب أبي طالب في مكة، وجعل عليهم رقباء قائلا لهم والله التبايع أو الأحرقتكم بالنار فخافوا على أنفسهم([8]). كان هذا أمر الحبس المحمد بن الحنفية والهاشميين مستثنيا منه عبد الله بن عباس الذي كان فاقد البصر آنذاك (1)

وعندما منع محمد بن الحنفية من مغادرة الشعب حتى يبايع، وحين وسمح له بأن يزار فصب، أرسل إلى ابن عمه عبد الله بن عباس يستشيره بشأن ما طلب منه ابن الزبير وحبسه بسببه، فرد عليه ابن عباس أن لا يطبع عبد الله بن

الزبير ولا يبايع ([9]). كان المختار قد طلب عبد الله بن الزبير منه العودة إلى مكة فعاد وأرسل معه إبراهيم بن محمد بن طلحة على خراج الكوفة فقدما الكوفة، والكوفة تغلي بسبب طلب الثار لقتلة

الحسين. ولا بد من التعريج قليلا على حركة التوابين ليتسنى لنا فهم

الأحداث عندما تحرك المختار نحو العراق عقب موت يزيد ليبدأ بتصفية خصوم الحسين وقتلته، وجد حركة التوابين قد ظهرت وأعلنت وهي حركة كانت قد تشكلت سزا سنة 61هـ/681 وظهرت إلى العلن في الكوفة سنة 65هـ/684م وأفصحت عن نفسها وأعلنت الثورة ضد بني أمية في الكوفة، لكنها لم تحقق نجاحا، حيث استطاع عبيد الله بن زياد أن يقضي عليها، عندها شعر المختار بأن الفرصة مواتية القيادة الشيعة وبقايا التوابين ([10]) أخذا للثأر من قتلة الحسين متعاونا مع أهل الكوفة (التوابين) وأظهر المختار ثورته في الكوفة سنة 66 هـ / 686) بعد أن أقنع عددا من الهاشميين في المدينة بأنه سياخذ الثأر من قتلة الحسين فايده بعضهم وفرحوا لهذا العمل([11])، علما أن المختار - في بداية الأمر – كان تعرض للفشل في تجميع الناس حوله ولم يلتف حوله أحد؛ لأن أهل الكوفة أخبروه أن سليمان بن صرد هو قائد الشيعة في الكوفة وهو من يقود الأمر، لكن المختار أقنع أهل الكوفة أن لا خيرة لابن صرد بالقتال، ولكي يعزز المختار صورته لها الأمر آخر، وهو الدعوى أن محمد بن الحنفية هو من أرسله لهذه المهمة، وأنه هو المهدي وقال لقد يحكني إليكم وزيرا وأمينا. وأنه من المربي يتتبع وقتل قلة الحسين([12])، وأنه دعاني القابعوه سواء كشك قوم من أهل الكوفة - مين بايعه في أمره وقالوا أعطينا هذا الرجل عيوبنا أن زعم أنه رسول ابن الحنفية، وفن الحنفية بمكة ليس منا يبعيد ولا مستقر، فلو شخص منا قوم إليه فسألوه عما جاء به هذا الرجل عنه، فإن

كان صادقا نصرياء وأعداء على أمري، فشخص مجموعة من

دعاهم إليه فقال: نحن حيث ترون محتسبون وفي رواية ابن عساكر محبوسون ([13]) وما أحب أن لي سلطان الدنيا بقتل مؤمن بغير حق، ولوددت أن الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه، فاحذروا الكذابين وانظروا لأنفسكم ودينكم، فانصرفوا على

هذا

وكان موقف محمد بن الحنفية هنا به تلميح غير صريح يكذب المختار، لكنه في ذات الوقت كان لابن الحنفية رغبة أن

يقوم المختار بتصفية قتلة الحسين من غير أن يشاركه. استمر المختار في حركته في العراق، وتتبع قتلة الحسين لكنه أخذ يكتب كتبا باسم محمد بن الحنفية في العراق، ليكسب ود أهل الكوفة وغيرهم للانضمام إليه، واستطاع بذلك أن يستميل إبراهيم بن الأشتر الذي كان أهم شخصية للقتال معه، وهو الذي باشرقتل عبيد الله بن زياد، وأرسل رأسه إلى المدينة إلى محمد بن الحنفية، وفرح الهاشميون لمقتل قتلة الحسين ودعوا إلى المختار وحمدوا فعله، وكان ممن حمد فعله عبد الله

بن عباس ([14])

كان الطرفان عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق

وغيرهما، ومروان بن الحكم في الشام، المتصارعان على سلطة الدولة الإسلامية، يرقبان ما يجري في العراق من ثورات المختار وما يحقق من الانتصارات، وكان كلاهما يضن أن الهاشميين هم من يقف وراء المختار ولا سيما محمد

([8])ابن سعد،محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، الطبقات الكبرى،ط١،دار الكتاب العلمي (بيروت -١٤١٣)ج٥،ص١٠١

([9])ابن عساكر،ابو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن هبه الله ،تاريخ مدينه دمشق،ط١،دار احياء التراث (دمشق ١١٦٣)ج٥٨،ص٢٣٥

([10])عبد المنعم ،نبيله داود، نشاة الشيعه،ص٧

([11])الدينوري،الاخبار الطويله ،ط١،ص٣٠٧

([12])الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ،تاريخ الرسل والملوك ،دار المعارف المصريه (القاهره_١٣٧٦)ج٣،ص٤٠٥

([13])

([14])ابن سعد، الطبقات الكبرى ج،ج٥،ص٣٠٦

بن الحنفية؛ لأن المختار كان يراسل الناس باسمه؛ لذلك شدد عبد الله بن الزبير الخناق على محمد بن الحنفية أكثر لمنعه من

السفر.

قام بعض الهاشميين الذين كانوا محبوسين في مكة بمراسلة المختار كي ينقذهم من ابن الزبير وبينوا أن ابن الزبير يريد

قتلهم وحرقهم،([15])

وقد جاء في رواية للطبري أن محمد بن الحنفية هو من راسل المختار بإشارة من أصحابه، وتؤيد ذلك كاتبة معاصرة (100)، وانفرد اليعقوبي بما يتطابق مع هذه الرواية بل إنه أورد نص رسالة محمد ابن الحنفية التي نسب إليه قوله فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول

الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد: فإن عبد الله بن الزبير أختناء فجيبنا في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إله إلا هو النبايعه، أو ليصر منها علينا بالنار، فيا غوثا1 ([16])

وأورد البلاذري نصا أخر مختصراً من محمد بن الحنفية إلى المختار وجاء فيه يا غوتنا بالله يا غوتنا بالله (1) وعندما سمع المختار بما فعله عبد الله بن الزبير بمحمد بن

الحنفية أرسل له جيشا قوامه أربعة آلاف رجل إلى مكة بقيادة أبي عبد الله الجدلي، موصيا له إن وجدت الهاشميين أحياء فكن عضدهم، وإن وجدتهم قتلوا فالقتل كل آل الزبير، ووعد المختار الجدلي وجيشه فقال: أنكم بعملكم هذا لكم عشر عمر وحجج (10)، وكان هذا كله سنة 66هـ/ 685م، فلما وصلوا إلى مكة وجدوا أن عبد الله بن الزبير كان يهم بحرقهم إن لم يبايعوه، فقام الجدلي بإخراجهم، وطلب من محمد بن الحنفية أمرا بقتل عبد الله بن الزبير، فرفض ابن الحنفية قائلا: " إني لا أرى القتال في المسجد الحرام([17]).

أما البلاذري فيروى أن ابن الزبير أصر على بيعة محمد بن الحنفية ومن جاء ينصره من الجيش، وأن الجنود التي أقبلت من المختار كان عددهم قليلا، فأراد ابن الزبير أن يحاربهم لكن المختار أرسل آخرين حتى بلغوا أربعة آلاف رجل، وأرسل معهم مبالغ كثيرة لمحمد بن الحنفية، فهابهم ابن الزبير (111)

وقد أشار الطبري إلى هذه الأحداث وذكر أن ابن الحنفية حذر الجيش القادم لنصرته من الفتنة ونهاهم عن القتال (112) ونسب المسعودي إلى ابن الحنفية أنه قال: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم([18])

ومما انفرد به اليعقوبي أن عبد الله بن الزبير عندما خرج محمد بن الحنفية من السجن قام في الكعبة وخطب بها وشتم علي بن أبي طالب، فرد عليه محمد بن الحنفية قائلا: شاهت الوجوه يا معشر قريش، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون ويذكر علي فلا تغضبون؟ ألا إن علياً كان سهما صائبا من مرامي الله أعداءه، يضرب وجوههم، ويهوعهم مأكلهم، ويأخذ بحناجرهم، ألا وأنا على سنن ونهج من حاله، وليس علينا في مقادير الأمور حيلة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (114) ويذكر اليعقوبي بعد ذلك مجموعة ردود ومناقشات بين ابن الزبير وابن الحنفية، وكلها تفرد بها اليعقوبي المعروف بميوله الشيعية الهاشمية، وفي الإنفراد بالأخبار والزيادة فيها عن بقية المؤرخين، وهذا يجعلنا لا تقبل ما أنفرد.

كما أن الطبري أورد رواية تفصيلية في الموضوع لكن ابن كثير عندما أوردها وأورد الأحداث التفصيلية عن الجدلي شكك في صحتها وقال: هكذا أورده ابن جرير وفي صحتها نظر ()[19]

وابن كثير يقصد في صحة التفاصيل، وإلا فقد ثبت أن الجدلي هو الذي أخرج محمد بن الحنفية من سجنه في الشعب ولقي مع جيشه حوله، فهابهم عبد الله بن الزبير وقد استمروا في مكة حتى موسم الحج القادم، الذي شهد أربع قيادات للحج

فيه هي:

محمد بن الحنفية ومعه جيش المختار وسموا الخشبية).

عبد الله بن الزبير ومعه جيشه الذي بايعه نجدة بن عامر الحنفي أحد رؤوس الخوارج

---

[15])ابن كثير، سماعيل بن عمر القرشي ،البدايه والنهايه ،ط١،مكتبه المعارف ،بيروت ،ج٨،ص٣٠٦

([16])اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ، ط١، ج١،ص٢١٤

([17])ابن الجوزي،المنتضم ،ج٦،ص٦١

[18] المسعودي ، مروج الذهب ،ج٣،ث٧٦

([19])ابن كثير ،البدايه والنهايه،ج٨،ص٣٠٦

لواء بني أمية القادم من الشام ([20]) ومرت الأمور بسلام بعد أن كان كل فريق متخوفا من الآخر، وقد خاف البعض من الفتنة فجعلوا يحذرون محمد بن الحنفية من فتنة القتال، وكان من بين هؤلاء محمد بن جبير بن مطعم، فرد عليه محمد بن الحنفية: والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت، ولا يؤتي أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير وما يريد مني، وما أطلب هذا الأمر إلا أن لا يختلف على فيه اثنان ولكن انت بن الزبير فكلمه وعليك بنجدة فكلمه ([21]).

كان المختار في العراق مستمرا في إشاعة أن أمر

(الخلافة) لمحمد بن الحنفية، وأنه مرسل من قبل عبد الله بن الزبير للعراق ليدعو لمحمد بن الحنفية، لكن ابن الزبير نكت وطلبها لنفسه، وأخذ يمجد في ابن الحنفية ويذكر مناقبه ومحاسنه([22])، كان محمد بن الحنفية منذ البداية لا يحسن الرأي فيه ولا يقبل كثيرا مما يأتي به لكنه ساكت لا يصرح برأي فيه خيرا ولا شرا . بدأ المختار يشيع أن عند محمد الحنفية كتابا وسرا من

علي بن أبي طالب، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأنكر ذلك وشعر محمد بن الحنفية بدجل المختار فأرسل رسائل إلى من يعرفهم من أهل الكوفة يقول فيها من محمد بن علي إلى من بالكوفة من شيعتنا، أما بعد فاخرجوا إلى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسرا، ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين، وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء فإنه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله، وكل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله قائم على كل نفس بما كسبت فاعملوا صالحا وقدموا لأنفسكم حسناء ولا تكونوا من الغافلين والسلام عليكم .

كان المختار الثقفي قد امتد وانتشر أمره بالعراق بعد أن

أوهم الناس بمجموعة من أوهام والله مؤيد من محمد بن الحنفية، وأن ابن الحنفية هو المهدي الذي تنتظره الشيعة . ثم تطور إلى القول أن الإمامة بعد علي الت لابنه محمد بن الحنفية، وكانت في بداية ظهور الفرقة الكيمانية الفرقة

الشيعية المشهورة بكل تفرعاتها والتي سنتكلم عنها. أحسن عبد الله بن الزبير أن تأييد المختار لابن الحنفية - الزم

وإرساله الجيش يشكل خطرا عليه ليس من ابن الحنفية بل من المختار لذلك قرر التخلص من المختار فارسل اخاه مصعبا وقضى عليه كان ذلك سنه ٦٧ ه وجلب راس المختار الى عبدالله بن الزبير[23]

([20])الطبري ،محمد بن جريربن كثير بن غالب ،تاريخ الرسل والملوك، ط١،دار المعارف المصريه (القاهره _١٣٧٦)ج٣,ص٤٧٣

([21])اليعقوبي،تاريخ يعقوبي ،ج١،٢١٤

[22] ابن سعد،محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ،الطبقات الكبرى، ط١،دار الكتاب العلميه(بيروت _١٤١٠)ج٥،ص١٠٠

[23] المصدر السابق،ج٥ ص١٠٥

المطلب الثاني

محمد بن الحنفيه في عهد عبد الملك بن مروان

محمد بن الحنفية في عهد عبد الملك بن مروان بعد إن استقر ابن الحنفية في شعب أبي طالب وقبل مقتل عبد الله بن الزبير، طالبه عبد الملك بن مروان أن يبايع الحجاج عامله، فأجابه قائلا: " إني لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك فإذا اجتمعوا كنت أول من يبايع وكان هذا قبل قتل

الحجاج لابن الزبير (130).

فلما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير طلب الحجاج منه

البيعة فأبي محمد ذلك. ومع أن ابن الحنفية ظل صلبا في موقفه هذا، إلا أن عبد الملك أصر على بيعته مستخدما الحسنى، فأوعز إلى الحجاج أن يكرمه ويتلطف به وفعل ذلك الحجاج حتى نجح في الحصول على مبايعته لعبد الملك ثم توجه إلى الشام فأكرمه عبد الملك واستقبله استقبالا طيبا.

ويبدو أن ذلك لم يعجب الحجاج فخاطب عبد الملك بقوله: والله يا أمير المؤمنين لقد أردت أن أضرب عنقه لولا تقدمك إلى في أمره لتأخره وتثاقله عن البيعة، فقال له عبد الملك: مهلاً يا حجاج .

وقد تضايق محمد بن الحنفية من الحجاج وشكاه إلى عبد

الملك طالبا منه أن ينزع عنه سلطانه فقال عبد الملك للحجاج: إنه لا سلطان له عليك ولا لأحد من الناس دوني، ولك في كل سنة رحلة ترفع إلى فيها حوائجك فأقضيها لك (131).

ولا تسعفنا المصادر كم بقي في الشام إلى أنه رجع إلى

المدينة إلى أن توفي بها.

أولاده:

ولد لمحمد